

الفصل: الرابع

## وحدة: تاريخ أوروبا في القرنين 19 و 20

الأستاذة: محمد حبيدة

المحاضرة رقم: 3

السنة الجامعية

2021-2020

جامعة ابن طفيل	السنة الجامعية: 2021-2020
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية	وحدة: تاريخ أوروبا في القرنين 19 و20
شعبة التاريخ والحضارة	الأستاذ: محمد حبيدة
الفصل الرابع	المحاضرة رقم: 3

## أولى التوسعات الخارجية: إيطاليا ومصر

في مرحلة موالية، انتقل نابوليون إلى مرحلة الهجوم على عدد من الأقطار الأوروبية في سياق الصراع مع بريطانيا، أظهر فيها مهارات وقدرات خارقة في ميدان المدفعية، استطاع بها سنتي 1796 و1797 السيطرة على مناطق شاسعة في إيطاليا الشمالية، حيث ضم عددا من المناطق والمدن إلى التراب الفرنسي، منها مدينة نيس، واستولى على كميات هائلة من خيراتها في شكل أموال ولوحات فنية وغيرها.

وقد تأتى له ذلك عقب التغلب على الجيش النمساوي الجرّار وقائده المحنّك جون بيار بوليو (Beaulieu: جنرال بلجيكي كان في خدمة سلالة هابسبورغ)، وذلك في معارك ما زالت تدرّس اليوم في الأكاديميات العسكرية.

عقب هذا الفوز، كتب نابوليون: "في هذه اللحظة، اعتبرت نفسي أكثر من جنرال، اعتبرت نفسي مدعوّاً للتأثير في مسار أمة بأكملها. لقد رأيت نفسي أدخل التاريخ" (إريك ديلموت) في واقع الأمر، كانت الحملة على إيطاليا، برأي أحد المؤرخين، "نقطة انطلاق الأسطورة النابوليونية" (إريك ديلموت).

وزادت هذه الانتصارات من شهرته حيث استقبله الباريسيون كبطل كبير، حتى أصبح يظهر كأقوى رجل في البلاد. وتضخمت هذه الشهرة بفضل حملته العسكرية على مصر عام 1798.

كانت هذه الحملة تدخل ضمن خطة تقضي بمضايقة الإنجليز، وفتح آفاق تجارية أمام البورجوازية الفرنسية بالتجارة مع الشرق العربي، والتفكير في فتح قناة تربط بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر للتجارة مع الهند والشرق الأقصى ومنافسة التجار البريطانيين.

في هذه المرحلة المبكرة من عمله السياسي والعسكري، كانت رؤية نابوليون تسعى لاحتضان العالم برمته. لم تكن الحملة على مصر سوى مكون من مكونات هذه الرؤية العالمية التي فشلت في نهاية المطاف. فقد امتدت هذه السياسة التوسعية إلى الشام والهند وأستراليا وجزر الكاريبي. لكن سياسةً مثل هذه كانت تستلزم

الهيمنة على البحار والمحيطات كشرط أساسي لتطوير مشروع استعماري واسع النطاق على النحو الذي استأثرت به بريطانيا العظمى.

بعد موافقة الديريكتور على خطة نابوليون، أسس هذا الأخير جيش الشرق ( l'armée d'Egypte ) في مطلع عام 1798، ونظّمه تحت قيادة ثمانية ضباط. ومعلوم أن جيش الشرق هذا قد تكوّن بالموازاة مع "معهد مصر" (Institut d'Egypte) الذي أوكلت له مهمة علمية تحت إشراف غاسبار مونج (Gaspard Monge). وكان هذا المعهد قد انبثق عن هيئة العلوم والفنون ( la commission des sciences et des arts ) التي كانت تضم علماء آثار ومهندسين مختصين في المناجم، ومطبعين وغيرهم.

انطلقت الحملة من مدينة تولون المطلّة على البحر الأبيض المتوسط بجنوب فرنسا، على متن أسطول ملاحى كبير (280 سفينة، و54000 جندي). استطاع أسطول نابوليون في مرحلة أولى التخلص من مضايقة الأسطول الإنجليزي، والسيطرة في مرحلة ثانية على جزيرة مالطة بوسط هذا البحر بمساعدة من الإيطاليين. ففي مالطة، ترك نابوليون كتيبة عسكرية مكونة من 3000 جندي لتأمين الصلة بين فرنسا ومصر. في 1 يوليو من عام 1798 ليلا استطاع الأسطول الفرنسي احتلال مدينة الإسكندرية عقب مقاومة ضعيفة لم تدم أكثر من بضع ساعات.

كانت مصر من الناحية السياسية تحت حكم الخلافة العثمانية، ومن الناحية الاجتماعية والاقتصادية كانت أقلية من الإقطاعيين تتحكم في شعب من الفلاحين المقهورين. ولذلك، في اليوم الموالي، قدم نابوليون نفسه للمصريين كمحرّر وحامٍ للديانة الإسلامية وحاملٍ لرسالة "الأنوار والحرية".

وعموماً، يمكن اختزال ما وقع خلال هذه الحملة في النقاط الآتية:

- الدخول إلى القاهرة في 23 يوليو عقب معركة الأهرامات.
- تصدي الإنجليز بقيادة ويلسون للأسطول الفرنسي وهزّمه في موقعة أبي قير بساحل الإسكندرية (1-2 غشت)
- 21 أكتوبر: انتفاضة المصريين في سياق الدعوة إلى الجهاد ضد الكفار حيث قتل المصريون مئات الفرنسيين. وزاد من هذا الضغط الجيش العثماني المدعوم من طرف البريطانيين.
- 1799: الهجوم على الشام
- أكتوبر 1799: عودة نابوليون إلى فرنسا لمواجهة التحالف الإنجليزي الروسي النمساوي، تاركا قيادة الجيش للجنرال جون باتيست كليبير (Kleber)

- 1800: بداية تراجع الجيش الفرنسي بفعل التحالف البريطاني العثماني.

- 1801: انهزام الجيش الفرنسي أمام الأسطول البريطاني والانسحاب من مصر.

كانت الحملة الفرنسية على مصر فاشلة عسكريا لكنها فتحت آفاقا علمية واعدة، إذ أسست لما عرف فيما بعد بعلم المصريات (Egyptologie)، كان من أبرز وجوهه جون فرانسوا شامبوليون (Champollion) الذي تمكن عام 1822 من سبر أغوار الكتابة الهيروغليفية، وعلماء آخرون كشفوا عن حبايا تاريخ الفراعنة والأهرامات. هذا ما جعل المؤرخ الفرنسي إيف ليسييس ينعت الحملة الفرنسية على مصر بـ"المغامرة العلمية":

Yves Laissus, L'Égypte : une aventure savante, 1798-1801, Paris, Fayard, 1998.